الفصل التاسع

كيف أشارك الآخرين ما تعلّمته؟

يعود البطل أو البطلة من رحلاتهم في معظم الأساطير العظيمة عبر العصور، إلى المكان الذي بدأوا منه. وأحيانًا يتعثّرون في تحقيق مسعاهم وإلى الأبد. وفي بعض الحالات، لا يصلون إلى الهدف الذي غادروا من أجله. وأحيانًا يُتيّمون بالهبة التي منحت إليهم عندما أنهوا تحدّيهم الأخير وقرّروا أن يحتفظوا بها لأنفسهم، وأن لا يشاطروها مع أحد. ولكن، على الأغلب، يشاطر البطل أو البطلة، الآخرين عن طيب خاطر، الهبة أو المكافأة التي حصل عليها بعد طول عناء، وتجربة مليئة بالمحن والزلّات، والبركات التي أنعمت عليهم.

سترى على الصفحة التالية كيف أنهى (روجر) رحلته على طريقة الأبطال العظماء، بالعودة من حيث أتى، لكن بصفته إنسانًا مختلفًا تمامًا. ستفعل أنت الشيء نفسه، عندما تحقّق هدفك في عالم تحقيق الذات، وستعود إلى حياتك محمّلاً بالمعرفة والخبرة التي اكتسبتها.

obeikandl.com

الرحلة البطولية

المرحلة الخامسة

يعود بطلنا (روجر) بعد عدّة أعوام إلى البوابة التي غادرها منذ أمدٍ بعيد، ويزور الحارس ليخبره عمّا تعلّمه في رحلته الطويلة كما وعد. يسأله الحارس: «هل كان الأمر يستحق الجهد الذي بذلته»؟ يرد روجر: «لم أندم للحظة أنّي غادرت. لم أكن لأتعلّم ما تعلّمته لو أنّي بقيت هنا وتتلمذت على يدي تلك العجوز التي لم تُحسن علاج أخوتي. أعرف الآن أكثر بكثير ممّا قد يمكنها تعليمي».

اعترف (روجر) للبواب أنّ أكثر مرّة شعر فيها بصراع حيال هدفه كانت حينما نفد منه المال، ومُنح فرصة للتتلمذ على يدي رجل حكيم للغاية، لكن كان عليه البقاء هناك إن أراد تطبيق ما تعلّمه. بدا الأمر له خيارًا من اثنين؛ إمّا العودة بمعلومات غير مكتملة أو البقاء بعيدًا عن بلدته للأبد.

عندها بدأ بتوجيه أسئلة مهمّة على نفسه حول ما الذي سيفعله. لم يكن قراره مبنيًا على سؤال واحد، بل إجابات عن مجموعة من الأسئلة بصفتها وحدة واحدة، هي التي جعلته يدرك أنّه إذا أراد أن يصبح أفضل مداوٍ بالأعشاب، فعليه توسيع هدفه ليشمل تعلّم اللغتين اليونانية واللاتينية؛ ليتمكّن من فهم ما وضعه أبقراط والأطباء الأوائل في موضوع الأعشاب. لذا، مضى إلى مدينة فيها جامعة وحصل على وظيفة فيها كأستاذٍ مساعد، وكانت وظيفته من دون التزامات، على عكس التتلمذ عند الرجل الحكيم. ولحسن حظه كان يكسب ما يكفي للحفاظ على جسده وروحه، ما مكنّه من جمع المعلومات الواسعة التي احتاجها.

ثم جاء وقت، كان عليه أن يقرر مرّة أخرى، إمّا البقاء في المدينة الكبيرة والعمل مع جامعة ما، أو العودة إلى البيت والعمل كمداوٍ بالأعشاب في بلدة صغيرة. لقد شعر أنّ قرار العودة هو الصحيح، لمعرفته أنّ الوصول لدرجة مداوٍ محترف عملية لا تنتهي. وسيتطلّب الأمر سنين طويلة، حتى يحصل على الخبرة العملية التي يحتاجها حدسه عند اختيار أفضل دواء للمريض الذي يعالجه.

يخبر الحارس أنّه يمكنه دراسة المداواة وممارستها في بلدته بالسهولة نفسها التي كان سيفعل بها في المدينة. لذا، عاد إلى أهله وكلّه ثقة وراحة بال. أصيب أهله بالدهشة من عودته بعد طول غياب، وكانوا متحمسين جدًا ومسرورين أنّ لديهم ابنًا باستطاعته تقديم الكثير لبلدته. ومع مرور الوقت، يذيع صيته في الأنحاء كافّة، بصفته مداويًا حكيمًا لا يتوانى عن مشاركة الآخرين خبراته، ومعلوماته مع كل من يحتاج إليها.

النهاية

obeikandl.com

تتغيّر الحياة باستمرار كما ذكـرت في الفصل الأول. ومن المرجّح أن تجد المنطقة الآمنة التي ستتقوقع فيها في نهاية الرحلة أقل راحة. كما ستجد نفسك في مرحلة ما في المستقبل، أنّ الألم يسحبك، ويدفعك، ويحثّك على عبور البوابة لخوض مغامرات جديدة.

الجيد في الموضوع، هو أنّك ما أن تنجز تغييرًا جذريًّا، حتى يصبح التغيير الذي يليه أسهـل. وأعتقد أنّ الدرس الأهـم الذي ستتعلّمه، هـو أن تنتبه أكثر لشخصيتـك الحقيقيـة، وللصوت الصـادر من أعماقـك، وللحكمـة والإرشاد النابعين من لدنك.

تسلّح بالفضول، واسأل نفسك أسئلـة. وبينما قد لا تستطيع تغيير حياتك بشكل كبير خلال يـوم أو أسبـوع أو شهـر – وستبقى بعض خلايـاك العصبية متعلّقة بمعتقدات قديمة تقيّدك – إلاّ أنّك ستسـرّع من وتيرتك، وتجعل العملية أكثر سهولة، كلّما حقّقت هدفًا عبر التغييرات المتزايدة التي تهدف إلى طريقة عيش جديدة وأكثر حيوية. والأهم من ذلك، فقد تتعلّم في كل رحلة شيئًا يستطيع الآخرون الإفادة منه، من دون أن يضطرّوا إلى المرور بكل الصعاب التي مررت بها. تمنياتي لكم بأن تجدوا الإجابات عن أسئلة الحيـاة المتعدّدة، ومشاركة ما تعلمتموه مع الآخرين.

obeikandl.com

عندما تتغيّر حياتك بالكامل،

فكّر بالسؤال الرئيس في الفصل التاسع:

- كيف أشارك الآخرين ما تعلمته؟

خذ أيضًا هذه الأسئلة الإضافية بالحسبان.

- ما السؤال الأهم الذي على الناس توجيهه، ولماذا؟
- ما السؤال الذي يتناوله الكثير من الناس، لكنّي أعتقد أنّه الأقل أهمية، ولماذا؟
- ما الذي يخبرنا أكثر عن الشخص: الأسئلة التي يسألها، أم الإجابات التي يعطيها؟ ولماذا؟

obeikandl.com